## 30 تعليم القيم: فريضة غائبة في نظم التعليم

أحمد المهدي عبدالحليم

أستاذ المناهج وطرق التدريس، كلية التربية، جامعة عين شمس.

❖ (أبحاث مؤتمر المناهج التربوية والتعليمية في ظل الفلسفة الإسلامية والفلسفة الحديثة، القاهرة، 29–31 يوليو، 1990).

❖ المعهد العالمي للفكر الإسلامي، بالتعاون مع الجمعية العربية للتربية الإسلامية، 1414هـ/1994م، ص401–431 [31 صفحة من القطع المتوسط].

❖ لغة البحث (الكتاب): اللغة العربية.

❖ مجال البحث (الكتاب): الشخصية الإسلامية، القيم.

❑ ❑ ❑

يَرُدّ الباحث – في أول ورقته – الكثير من مظاهر الإضطراب في المجتمعات المعاصرة إلى غياب الإلتزام بنظام منسق للقيم التي تدفع الأفراد والجماعات والمجتمعات والدول إلى القيام بأنماط معينة من السلوك.

ولا يفترض الباحث أن الإهتمام بموضوع وتعليم القيم هو من شأن العالم الإسلامي أو التربية الإسلامية حسب، إنما يبدأ بدعوات أميركية وأوروبية لمثل هذا الاتجاه.

وقد حدد الباحث أهداف ورقته في خمسة أسئلة يحاول أن يجيب عنها في مضمون ورقته تتناول : الإطار الفكري العام، طبيعة القيم، القيم التي يجب أن تعلم، المواقف والتداخلات عند تعليم القيم، والمعالم الرئيسة لوسائل تعليم القيم.

* ففي الإطار العام لمعالجة القيم، أو ما يسميه الباحث الصيغة الكلية Paradigm (ويترجم في العادة بالنموذج) الذي تتم في حدوده معالجة القيم، وهو يطرح صيغة كلية يقول عنها أنها مناهضة أو قل مناقضة – للصيغة الغربية في الكثير من جوانبها.

ويذكر الباحث أهم القسمات الفارقة بين الصيغتين (الغربية والإسلامية) بمعالم رئيسة خمسة:

1. **الكون والخالق**: فالإلوهية واحدة دون شرك، والكون عالمان (عالم غيب وعالم شهادة) يتداخلان ويتفاعلان ولا يمكن فصل أحدهما عن الآخر.
2. **الإنسان**: وهو أكرم مخلوقات الله، فطره الله على التفكير والتأمل والتذكر والتخيل والإختيار الحر المسؤول في الفكر والفعل.
3. **والإنسان مختلف المزاج والطبائع**، والإسلام يقر تعدد الأنماط والنماذج في أوضاع الحياة الاجتماعية ما دامت تجري في إطار ثوابت الدين.
4. **العقل والعلم والمعرفة**: وللعقل مكانة عالية في الإسلام كأداة للإيمان وكأداة للعلم آناً واحداً. فالعقل والنقل متلازمان غير متناقضين في التصور الإسلامي.
5. **التنوع داخل الوَحدة**: فالصيغة الإسلامية (للإطار العام للقيم) تقوم على وحدة الكون وتؤمن بالتنوع داخل هذه الوَحدة دون الثنائيات (إما. . . وإما) التي أفرزتها الفلسفة الطبيعية.

* ثم يأتي الباحث إلى ماهية القيم مبتدئاً بالمعنى اللغوي للقيمة ثم لمصطلحها أو مفهومها وذلك من خلال أبعادها وشروط تحقيقها.

فمن حيث أبعادها فإن الباحث يراها من خلال بعدين: فهي أولاً مفهوم تجريدي (أي أنها معنى عقلي) ليس للزمان ولا للمكان جزء فيه، وثانياً هي حالة عقلية - وجدانية (يسميها الباحث عقلوجدانية) يمكن التعرف عليها في الأفراد والجماعات والمجتمعات من خلال مؤثرات عدة: مثل المعتقدات والاتجاهات والميول، . . . إلخ.

أما من حيث شروطها أو محكاتها فهو يضعها في سبعة شروط:

1. **الحرية**: فالفضائل وحتى العبادات الحق لا تمارس إلا في مناخ يسوده الأمن النفسي والأمن المادي.
2. **تعدد البدائل**: أي أن يكون اختيارها من قبل الإنسان من عدة بدائل أو عدة خيارات لنفي الجبر والقسر والإكراه.

3. **العقلانية**: فالقيمة لا تنشأ عن تقليد أعمى ولا هي بإفراز مشعوذ غير منضبط بمقياس العقل والمنطق.

4. **التكرار والإستمرار**: فالقيمة لا تتأكد والفضيلة الخلقية لا تبرز في سلوك الإنسان إلا بعد تكرار حدوثها لتجعلها عادة مستحكمة.

5. **إتساق العمل مع العقل**: فترجمة الأقوال إلى أعمال أو سلوك من المحكات الأساس لاختبار القيمة في السلوك الإنساني.

6. **الإعتزاز بالقيمة**: إذ لا قيمة مقبولة أو متعلمة عند الفرد من دون إعتزاز صاحبها بها دون إرتياب أو تردد فيها

7. **الإيثار**: ويقصد به إيثار الآخرين على النفس مع حاجتها إلى ما يبذله صاحبها.

* ثم يعرج الباحث بعد ذلك إلى القيم التي يجب أن تعلّم في المدارس فيورد بعض المسلمات:

1. **مصادر القيم ويجعلها خمسة**: الدين الإسلامي كخاتم للأديان (قرآناً وسنة)، العقل الجمعي، الخبرات التأريخية للأمم، التراث العربي الإسلامي، ثم المجتمع الذي يراد تعليم القيم لأبنائه.

2. **وَحدة القيم** وتنوعها: ويصفها في قيمة جامعة هي قيمة «تحقيق الإنسان» لذاته وإنجاز مسؤولياته كمستخلف في الأرض لعمارتها، ويضع تحت هذه القيمة الكلية قيم رئيسة: كالحرية والعدل والمساواة. . . . ثم يفصِّل الحرية إلى قيم ثانوية كحرية العبادة والتعبير. . . إلخ.

3. **مسؤولية تعليم القيم**: ويحملها الباحث لكل القوى التربوية في المجتمع: الأسرة، المدرسة، مؤسسات المجتمع السياسية والإدارية والإعلامية. . . إلخ.

* ثم يقدم الباحث مقترحات ثلاثة لتحديد القيم التي يجب أن تعلّم في المؤسسات التربوية في ضوء المسلمات الثلاث أعلاه.

- يأتي المقترح الأول على قيمة: حقوق الإنسان في الإسلام، ويورد

الباحث قائمة من (23) حقاً من حقوق الإنسان (استبدل القيمة بالحق في هذا المجال) وهي قيم:

الحياة، الحرية، المساواة، العدالة، المحاكمة العادلة، حماية الفرد من السلطة، الحماية من التعذيب، حماية عرض الفرد وسمعته، كفالة حق اللجوء للمضطهدين، حماية حقوق الأقليات، المشاركة في الحياة العامة، حرية التفكير والإعتقاد والتعبير، الحرية الدينية، الدعوة والبلاغ، القيم الاقتصادية، حماية الملكية، قيمة العمل، إستيفاء الفرد لكفايته من مقومات الحياة، بناء الأسرة، قيمة الزوجية، قيمة التربية، حماية خصوصيات الإنسان، وقيمة إتاحة حرية الإرتحال والإقامة.

- أما المقترح الثاني فيتعلق بجعل النصوص القرآنية والأحاديث النبوية محوراً لتعليم القيم: أي اشتقاق القيم من هذه النصوص. ويقتبس الباحث من الدكتور عادل العوّا الذي ذكر الكثير من الآيات القرآنية وقام باشتقاق قوائم من القيم منها، (يسردها الباحث ويعددها في ورقته).
- أما المقترح الثالث فهو يتعلق بالتصور الصوفي أو تصور أهل التصوف، ليستشهد بكتاب (جواهر القرآن) للإمام الغزالي في بابه الذي يسميه (الأربعين في أصول الدين) الذي يستعرض فيه الغزالي الأعمال الباطنة، سواءً الأخلاق المذمومة وهي عشرة (شره الطعام، شره الكلام، الغضب، الحسد، حب المال، حب الحياة، حب الدنيا، الكبر، العجب، الرياء)

أو الأخلاق المحمودة وهي عشرة كذلك: (التوبة، الخوف، الرجاء، الزهد، الصبر، الشكر، الإخلاص، الصدق، التوكل، المحبة، الرضا بقضاء الله).

* ثم ينتقل الباحث في آخر ورقته إلى المواقف المدرسية التي يمكن أن تستغل في تعليم القيم سواءً بالمنهج الصريح أو الضمني المستتر، حيث يمثل الأول الصورة الرسمية للمناهج المدرسية ويمثل الثاني المعايير والقيم والمعتقدات غير المعلنة.

ويذكر الباحث بعض المواقف التي يمكن تعليم القيم من خلالها: كالتعليم العابر غير المقصود لذاته، أو تعليمها من خلال المواد الدراسية المختلفة، أو بصورة مباشرة مقصودة.

وبعدها يأتي إلى طرق تعليم القيم ويقسِّمها الباحث إلى:

- طرق غير مباشرة، كالمثال وبيئة المدرسة والتقويم الذاتي ومن خلال الخبرة.
- طرق مباشرة، أي تعليم القيم بطريقة مباشرة ومقصودة لذاتها.

ويضرب الباحث في آخر أوراق بحثه مثالاً لتعليم القيم عن طالب جامعي (سماه أمين صادق) مفترضاً الإسم والكلية (الشريعة والقانون) والجامعة (الإصلاح) ليظهر نوعاً من التطبيق العملي لما أراد طرحه في ورقته بخصوص تعليم القيم.

❑ ❑ ❑

**عناوين رئيسة:**

السلم القيمي، قيم الشخصية الإسلامية، التربية الإسلامية، بناء إطار نظري جامع (برادايم) لبناء القيم وتعليمها.

❑ ❑ ❑

**ملاحظات:**

- لا شك أن الباحث أراد أن يرسم معالم الإطار النظري والفلسفي الذي يمكن أن يقوم عليه بناء «السلم القيمي» أو «المنظومة القيمية» للفرد وللمجتمع المسلم الذي يراد من المدرسة في المجتمعات الإسلامية أن تضعها في أهم أولوياتها وضمن برامجها التعليمية سواءً أكانت بطريقة مباشرة أو غير مباشرة.
- إلا أن المنظومة القيمية لم تحدد أبعادها - برأيي - بصورة منسجمة ولا متكاملة مع بعضها، فكانت مجرد أفكار ومقترحات تفتقر إلى أن تكون

(برادايم) متكامل كما أراد الباحث أو هدف إليه في ورقته.

- وبرغم أن المنظومة القيمية أو السلم القيمي ينحاز أساساً إلى الجانب النفسي الاجتماعي في مجال الشخصية الفردية من ناحية، والقيم والتقاليد والعادات المجتمعية من ناحية ثانية، إلا أن البحث إنحاز بكامله تقريباً إلى الجانب التربوي. وليس في هذا ما يعيب الباحث أبداً، إلا أنه كان لا بد من العروج إلى الإطار والمحددات النفسية والاجتماعية أولاً لبناء النموذج أو التصور الإسلامي للسلم القيمي قبل محاولة رميه في ساحة المدرسة أو التربية والتي هي المحطة الأخيرة له.
- كان المثل الذي جاءت الورقة عليه في آخرها (الطالب أمين صادق) غير موفق برأيي تماماً، ولم يف بالعرض الجميل أو المقترحات الثلاثة التي قدمها الباحث في ورقته عن طرق ووسائل تعليم القيم.

❑ ❑ ❑